برفع الحراسة عن الحرم. واستجابت السلطات لمطالبهم هذه، ونفّذت عدداً من الاجراءات، تمّ بموجبها تكريس تقسيم الحرم الابراهيمي وتحويل الجزء الاكبر منه، فعلياً، الى كنيس يهودي. ورداً على ذلك، أعلنت الهيئة الاسلامية، يوم الجمعة بتاريخ ١٥/٨/١٩٧٥، يوماً للحرم الابراهيمي الشريف؛ ودعت المسلمين، في كل انحاء العالم، الى التدخل لحمايته، في الوقت الذي واصل المستوطنون استفزازاتهم التي بلغت ذروتها حين تسلل أربعة شبان يهود يوم السبت ٢/١٠/١٩٧٦، وتسلقوا السور الى داخل الحرم، وقاموا بتمزيق المصاحف الموجودة فيه، ودا سوها بأقداهم. وأدّى الحادث الى وقوع اشتباكات عنيفة بين المستوطنين وأهالي الخليل، فرضت سلطات الاحتلال، على اثرها، حظر التجول على المدينة مدة ١٧ يوماً، انتهت بتاريخ ١٩/١٠/١٩٧٦، وقام اليهود، خلالها، بسرقة معظم أثاث الحرم، بالاضافة الى ساعتين اثريتين وكتب ومصاحف اسلامية ذات قيمة تاريخية، والهلال الموجود على قبّة السلطان قلاوون المقامة فوق باب المغارة حيث دفن الانبياء، وجميع محتويات غرفة رئيس السدنة، ومفاتيح مقامات الانبياء وأغراض أخرى[٤٠]. في هذه الاثناء، تقدم كبير حاخامي الجيش الاسرائيلي، شلومو غورين، بطلب الى وزير الدفاع الاسرائيلي لتقسيم مغارة الكفيلة بين المسلمين واليهود، او اعطائها كلها لليهود. وفي أواخر العام ١٩٧٨، بدأ المستوطنون حملة جديدة لاكمال تحويل الحرم الابراهيمي الى كنيس يهودي وحرمان المسلمين، نهائياً، من اقامة الصلوات فيه، فأدخلوا أشياء ومعدّات جديدة الى الحرم، وأطلقوا النار لاخافة الحرس ودفعهم الى المغادرة. وانتهت هذه المرحلة الهامة من الصراع على الحرم الابراهيمي بمنح سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي مستوطني كريات أربع حق الاشراف الكامل على الحرم، بدلاً من المجلس الاسلامي[٤١].

استيطان قلب الخليل

ظلت اقامة اليهود في مدينة الخليل محصورة، الى حدّ كبير، بالمنشآت السكنية التي أقامتها لهم خصيصى الحاكمية العسكرية، في أعقاب المحاولة الاستيطانية الأولى التي قام بها ليفنغر، أواسط العام ١٩٦٨، والتي أتينا على تفاصيلها من قبل. غير ان تواجد اليهود في الخليل شهد تطوراً كبيراً خلال ما يقارب العشر سنوات التالية.

بوصول تكتل الليكود، بزعامة مناحيم بيغن، الى الحكم، العام ١٩٧٧، تضاعفت الهجمة الاستيطانية على الخليل. فقد وجّه الحزب الحاكم جهوده نحو تحويل مستوطنة كريات أربع، التي أُنشئت في عهد حكم المعراخ، الى مدينة يهودية تستوعب ٥٠ ألف مستوطن؛ وأُقيم فيها مجلس بلدي، وكنيس، ومدارس، ومحكمة[٤٢].

بدأ مستوطنو كريات أربع من أعضاء حركة غوش ايمونيم الاستيطانية هجمة مركّزة على الخليل منذ نيسان (ابريل) العام ١٩٧٩، فاحتل عشرات منهم مبنى الدبويا الذي يطلقون عليه اسم «هداسا»، والواقع وسط المدينة. وأخذت الحكومة الاسرائيلية تضفي، تدريجياً، طابعاً شرعياً على الوجود الاستيطاني الجديد. وسمحت، في أواخر أيار (مايو)، لعائلات مستوطنين جدد بالانضمام الى الاوائل. وبعد مرور أقل من شهر على ذلك، سمحت لهم، جميعاً، بالتنقّل بحرية من مبنى الدبويا واليه. وأبلغت الحكومة الاسرائيلية الى وزارة الدفاع ضرورة عدم القيام بأي عمل لاجلاء المستوطنين، الذين قاموا بعمليات ترميم للمبنى، في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٩، بترخيص من الحكومة وتحت حماية قوات كبيرة من جيش الاحتلال[٤٣].

كانت عمارة الدبويا، قبل ذلك، مركزاً للشرطة، وتحوّلت الى معتقل في العهد العثماني،